IUGJHR
Vol 26, No 2, 2018, pp 181-203

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2018-02-03)، تاريخ قبول النشر (2018-03-03)

سيميائيَّة الشخصية في رواية الغجرية والثعبان لإبراهيم الناصر الحميدان

د. مريم عبد العزيز العيد [1,*]

[1] قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة شقراء - السعودية.

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: m_aleid@su.edu.sa

الملخص:

يكشف هذا البحث عن سيميائية الشخصية في رواية (الغجرية والثعبان) للروائي السعودي: إبراهيم الناصر الحميدان، وهي محاولة لاستكشاف دلالات الشخصية ومدلولاتها في رواية الغجرية والثعبان، ومعرفة أنواع الشخصيات ووظائفها وعلاماتها السيميائية، وكيف استطاع الراوي توظيفها في صناعة أحداث الرواية، مستعينًا بما آلت إليه أبعاد الشخصيات في الدراسات الغربية الحديثة؛ بهدف تعيين دلالتها السيميائية ومدى تحقيقها لذلك الهدف أو بعدها عنه. وقد اشتمل البحث على مقدمة تمهيدية للموضوع، وأهميته، وهدفه وأسباب اختياره، ثم المنهج المتبع، مرورًا بتعريف الشخصية، وأهميتها، ومراحل تطورها، ودراستها في الدراسات الغربية الحديثة، وأشهر منظريها منذ فلاديمير بروب، مرورًا بغريماس، ثم تطورها أخيرًا على يد فيلب هامون، ثم تطبيق تلك المناهج على رواية الغجرية والثعبان عبر استكشاف وظائف الشخصية في عدة محاور؛ منها الشخصية والعلامة، وتناول أنواع الشخصية داخل الرواية، والتركيز على دال الشخصية ومدلولها في الرواية، وفيه كشفت عن العلامات السيميائية للشخصية وأسمائها، وصفاتها، وبيان أسلوب تقديمها في الرواية. وقد تبين في خاتمة البحث أن شخصيات الرواية تمزج ما بين الواقعي والأسطوري، لكن العالم الأسطوري وأحداثه غلب على العالم الواقعي؛ وكشف هذا الاستخدام عن علامات سيميائية للشخصيات الأسطورية وعلاقتها بالواقعية، وقد أشرت إليها في مواضعها حسب السياق التي برزت فيه.

كلمات مفتاحية: الرواية- السرد- السيميائية- الشخصيات- الغجرية والثعبان

Character Semiotics in the Gypsy and the Serpent novel of Ibrahim Al-Naser Al-Humaidan.

Abstract

The research reveals the semiotics of character personality in the novel "The Gypsy and the Serpent" by the Saudi novelist Ibrahim Al-Naser Al-Humaidan, which were an attempt to explore the marks and meanings of the characters in the novel "Gypsy and the Serpent" and identifying types of characters and their functions and its semiotic signs, and how the narrator was able to engaging them in the composition of the novel events; resorting to what is ended up in the modern western studies with a view to determining their semiotic significance and the extent to which they achieve this goal or beyond it. The research included a preliminary introduction to the subject, importance of the research, purpose of it, reasons for its selection, methodology used, definition of the personality character, its importance, stages of its development, its study in modern western studies, and its most famous theorists since Vladimir Brob, through Grimas, and the finally developing by Philip Hamon. Then applying all that on the novel of the "Gypsy and the Serpent" through exploration of the functions of the personality from several hubs; including the personality and the mark, and dealing with types of personality within the novel, and focusing on the sign of the character and its meaning in the novel, in which it revealed the semiotic signs of personality, names, characteristics, and the presentation manner of it in the novel.

At the end of the research, the characters of the novel combine the realism and the mythical, but mythical world and its events dominated the realism. This use revealed the semiotic signs of mythical characters and their relation to realism, which I referred to in their context recited in.

Keywords: Novel - Narrative - Semiotics - Characters - Gypsy and Serpent

المقدمة:

نظرًا لأهمية الشخصية في الدراسات السردية والأعمال القصصية؛ حيث تُعدّ الركيزة الأساس التي نكتشف بها الواقع من حولنا؛ إذ بها وعليها تدور أحداث الرواية. وأيًّا كان نوع القصة أو الرواية فإن الشَّخصيَّة تعدُّ أهمَّ عناصر البنية السَّرديَّة؛ لأنها تمثل الإنسان الذي نكتب عنه وله في آنٍ واحدٍ. ويتناول هذا البحث سيميائية الشخصية في رواية (الغجرية والثعبان) للروائي السعودي: إبراهيم الناصر الحميدان، وهي محاولة لاستكشاف دلالات الشخصية ومدلولاتها في رواية الغجرية والثعبان، ومعرفة أنواع الشخصيات، ووظائفها، وعلاماتها السيميائية، وكيف استطاع الراوي توظيفها في صناعة أحداث الرواية، مستعينًا بما آلت إليه أبعاد الشخصيات في الدراسات الغربية الحديثة؛ بهدف تعيين دلالتها السيميائية ومدى تحقيقها لذلك الهدف أو بعدُها عنه. والبحث جديد في طرحه، إذ لم يسبق أن تناوله أحد من قبل، على الرغم أن هناك من تناول سيميائية الشخصية في الرواية السعودية بشكل عام، وهي دراسة للريم الفواز، إلا أنها لم تتناول هذه الرواية بالذات، ونظرًا لما تتميز به شخصياتها من أهمية في دلالتها السيميائية؛ فقد رأينا إفرادها بدراسة مستقلة.

وقد اشتمل البحث على مقدمة تمهيدية للموضوع وأهميته وهدفه وأسباب اختياره، ثم المنهج المتبع، مروراً بتعريف الشخصية وأهميتها ومراحل تطورها ودراستها في الدراسات الغربية الحديثة، وأشهر منظريها منذُ فلادمير بروب، مروراً بغريماس، ثم تطورها أخيراً على يد فيلب هامون، ثم تطبيق تلك المناهج على رواية الغجرية والثعبان عبر استكشاف وظائف الشخصية في عدة محاور؛ منها الشخصية والعلامة، وتناول أنواع الشخصية داخل الرواية، والتركيز على دال الشخصية ومدلولها في الرواية، وفيه كشفت عن العلامات السيميائية للشخصية وأسمائها، وصفاتها، وبيان أسلوب تقديمها في الرواية. وقدا اعتمدت في ذلك على طريقة المنهج الوصفي التحليلي مستعينةً بما أنتجته الدراسات السيميائية من أدوات وآليات للكشف عن الدلالات الإيحائية وتأويلاتها في ميدان علم النقد الحديث، مع الاستفادة من الأدوات التي أفرزتها الدراسات السردية الحديثة. وأياً كان نوع القصة أو الرواية، فإن الشَّخصيَّة تعدُّ أهمَّ عناصر البنية السَّرديَّة؛ لأنها تمثل الإنسان الذي نكتب عنه وله في آنٍ واحدٍ.

أولاً: أهمية الشخصية:

تحتل الشخصية أهمية بارزة في الدراسات الأدبية والنقدية والأعمال الروائية السردية؛ وذلك لأن الشخصية هي أحد أعمدة الرواية وأهمها، وقد اكتسبت أهميتها من أهمية الإنسان المكتوب له وعنه، ولأن قضايا الإنسان ومشكلاته هي المحور الأساس لكل الأجناس الأدبية، فضلًا عن كونها هي التي تتحكم بأحداث الرواية وعناصرها سواء على مستوى المكان أو الزمن أو الأحداث، إذ يُعدُّ نقد الشخصية "إحدى الدعائم الرئيسة التي يقوم عليها البناء الروائي، بل إن النقاد يعدونها ركيزة الروائي الأساس، وبدونها لا وجود للرواية"[1].

وقد أحدثت الدراسات التي تهتم بالعمل السردي ثورة على جملة من المفاهيم والمصطلحات التي تتعلق بعناصر العمل السردي، ومنها عنصر الشخصية الروائية التي تمثل مرتكز العمل السردي، ونتيجة لذلك تنوعت مفاهيم الشخصية، وتعددت تصنيفاتها

[1] الحازمي، حسن بن حجاب، البناء الفني في الرواية السعودية، (ص195).

بحسب أهميتها وحضورها في العمل الأدبي بشكل عام، وفي العمل السردي على وجه الخصوص، فضلًا عن "كونها كائناً إنسانياً مليئاً بالحياة"[2]. ولذلك كان "من أبرز سوء التفاهمات التي أبعدت النقد عن تلمس حقيقة الشخصية الروائية هو ذلك الخلط الذي درج القراء والنقاد على إقامته بين الشخصية التخيلية كمكون روائي، والشخصية بوصفها ذاتاً فردية أو جوهراً سيكولوجياً"[3].

ومن هنا جاء اهتمام النقد الحديث بالشخصية في إطار وظيفتها الخارجية واستعمالاتها المختلفة حسب الدور الذي تقوم به في صناعة الأحداث الروائية.

مفهوم الشخصية الروائية:

دلت كلمة شخص في البداية "على القناع الذي يضعه الممثل على وجهه أثناء أداء الدور المسند إليه في المسرحيات التراجيدية، ثم صار بعد ذلك يدل على الدور نفسه"[4]. في حين ظهرت كلمة شخصية بعد كلمة شخص في منتصف القرن الثالث الميلادي، واشتهرت في القرن الخامس عشر الميلادي[5]. وتعد الشخصية علامة لسانية وكائناً ورقيًا تنشئه المخيلة والكلمات، ويستعمله المؤلف لإيهام القارئ بصدق الواقع الروائي[6].

أما بالنسبة للعمل الروائي، فإن الشخصية تمثل "ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسة للرواية، وبدونها لا وجود للرواية؛ ولذا تجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم: الرواية شخصية"[7].

فالشخصية عنصر مؤسسٌ في بناء النص الروائي، حيث تعمل بوصفها قوة مولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها، وتتحرك في الزمان والمكان؛ لتشكل بعلاقاتها المتصارعة عنصري التشويق، والإثارة، وهي وسيلة الكاتب لتجسيد رؤيته والتعبير عن إحساسه بواقعه.

ومن هنا فإن الشخصية الروائية كائنٌ متخيَّل لها طرائقها الخاصة في الوجود والإحساس بالأشياء وإدراك العالم الآخر، وتختلف الشخصية الروائية عن الواقعية أو التاريخية بكونها أكثر تفرداً وتميزاً عند القارئ، ويمكنه فهمها فهما كاملاً إذا رغب بذلك، ومن هنا فإن الشخصية الروائية ليس لها وجود واقعي بقدر ما هي مفهوم تخييلي لها دورها المهم في النص للدلالة على الشخص الواقعي، وهي عنصر مشارك من عناصر النص الروائي تتفاعل مع الأحداث سلباً وإيجاباً، وتستوعب المتغيرات بمختلف أنواعها من خلال محاولة تشكيل الروائي لها وفق نسق مميز، يسهم في تكوين بنية النص الروائي بوصفه وحدة دلالية واحدة[8].

---

[2] الفواز، الريم مفوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص22).
[3] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، (ص210).
[4] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مادة: شخص.
[5] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة: شخص.
[6] انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص213).
[7] ماضي، شكري، فنون النثر العربي الحديث، (ص 30).
[8] انظر: الفواز، الريم مفوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص24-26).

تصنيفات الشخصية الروائية

حظي مفهوم الشخصية باهتمام كبير منذ عهد أرسطو الذي عدّ الشخصية عنصراً ثانوياً بالقياس إلى عناصر العمل التخييلي، وخضع هذا المفهوم لتغييرات كثيرة عبر تاريخ الأدب؛ حتى أصبح من الصعب التعرف عليه في إطاره التعاقبي[9].

وفي مطلع القرن العشرين بدأ مفهوم الشخصية يتطور بداية من جهود الشكلانيين الروس الذين عدّوا الشخصية دعامة أساسية في كتابة العمل القصصي، واهتموا بالدوافع التي تهتم بكتابة العمل القصصي وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً وسموها مميزات، إذ إنها تحدد نفسية الشخصية ومزاجها[10].

وزاد الاهتمام بالشخصية نتيجة ما أولته الدراسات السيميائية بمقولة الشخصية الروائية، التي تُعدُّ أساس العمل الروائي، إذ امتد المجال ليشمل وظيفة الشخصية ودورها المناط بها داخل العمل السردي، ويعود الفضل في ذلك إلى العالم الروسي فلاديمير بروب، الذي "ركز على الوظائف التي تقوم بها الشخصية في الحكايات الشعبية، وربط الشخصية بالوظيفة التي تقوم بها وبطبيعة هذه الحكاية"[11]. ونراه في كتابه "مورفولوجيا الحكاية" لا يهتم بالشخصية من حيث أوصافها وأفعالها، بل يرى أن الأهم من ذلك هو الدور الذي تقوم به داخل الحكاية. فيقول: "إنما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات، أما من فعل هذا الشيء أو ذاك، وكيف فعله فتلك أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لاغير"[12] ــ ويعرف الوظيفة بأنها "فعل شخصية قد حدد من وجهة نظر دلالته في سيرورة الحبكة"[13].

وفي دراسته لمئة حكاية خرافية روسية رأى أن الشخصيات، في تمثلها للوظيفة داخل الحكايات، لها ثلاثون وظيفة تتسع لتتجمع في سبعة دوائر أو أنماط هي: (الموكِّل، والمُساعد، الواهب، المُعتدي، الأميرة، البطل، البطل المزيف)، ويمكن أن تتداخل هذا الوظائف في شخصية واحدة لتقوم كل شخصية أحيانًا بأكثر من وظيفة[14]. وأعتمد في ذلك على مبدأ الثبات والتحول، فالشخصية الحكائية لا أهمية لها، وهي كائن متحول، وبالتالي فالأولى أن تتخلى عن عنصر التحول، وتبحث في بنية الحكاية (العنصر الثابت) عما تقدمه من وظائف، منطلقًا في تحديدها مما أسماه بدوائر فعل الشخصيات[15].

وجاء التطور والتحول الكبير في دراسة الشخصية الروائية على يد غريماس الذي بنى منهجه العاملي على أبحاث بروب وغيره من الباحثين الذين سبقوه، وارتكزت نظريته على الأصل النحوي (الفاعل– المفعول به) مع التأكيد على مبدأ العلاقات بين الفواعل[16].

---

[9] انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، (ص207، 208) .
[10] انظر: لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، (ص50).
[11] الفواز، الريم مفوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص30).
[12] لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، (ص24).
[13] بروب، فلاديمير، مورفولوجيا الحكاية الخرافية، (ص158، 159).
[14] انظر: بروب، فلاديمير، مورفولوجيا الحكاية الخرافية، (ص99).
[15] انظر: بنكراد، سعيد، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، (ص219).
[16] انظر: العجمي، محمد الناصر، في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، (ص 35-37).

وحاول غريماس أن يقدم صياغة جديدة لوظائف الشخصية في نموذجه العاملي الذي يرتكز على ستة عوامل تنتظم وفق ثلاثة أصناف: الأول عامل ذات أو فاعل مقابل موضوع، والثاني مخبر أو مرسل مقابل مرسل إليه، والثالث مساعد مقابل معارض، وتأتلف هذه العوامل في ثلاث علاقات هي: علاقة الرغبة التي تجمع بين من يرغب "الذات" وما هو مرغوب فيه "الموضوع"، وعلاقة التواصل التي تجمع بين موجه للذات "المرسل" وموجه إليه "المرسل إليه"، وعلاقة الصراع التي ينتج عنها إما تحقيق العلاقتين السابقتين، أو منع حصولهما، ويدخل ضمنهما عاملان يدعى أحدهما "المساعد"، والآخر "المعارض"، يقف الأول إلى جانب الذات في حين يعمل الثاني على عرقلتها[17].

أما تودوروف الذي جاء بعد غريماس فنجده في منهجه يجرد الشخصية الروائية من محتواها الدلالي، ويتوقف عند وظيفتها النحوية في الرواية، فيجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية؛ أي إنه ينظر إلى الشخصية بوصفها قضية لسانية، لتصبح عنده مجرد كائن ورقي، ليس له وجود خارج الكلمات"[18].

"وتأسيسًا على موروث بيرس السيميائي، وتصوره الثلاثي للعلامة، والربط بينهما وبين مرجعياتها الخارجية؛ حاولت سيميولوجيا الشخصية إحالة الشخصيات/العلاقات على مرجعيات محددة أو غير محددة"[19]. وهذا ما سنراه في أبحاث فيليب هامون عن الشخصية.

الشخصية عند فيليب هامون:

يعد فيليب هامون من أبرز المنظرين للشخصية الروائية، وبيان وظيفتها داخل العمل السردي في العصر الحديث؛ إذ حرر مفهوم الشخصية من إطار الغموض الذي لحق بها من الدراسات السيمولوجية والاجتماعية، إلى مجال تناولها عن طريق السيميائية التي تهتم بنظام العلامة والإشارة، فدرس الشخصية عبر ثنائية الدال والمدلول، لتصبح الشخصية في نظره "علامة لها وجهان: أحدهما (الدال) (significant)، والآخر (المدلول) (signifie)، وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث إنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها، أما الشخصية كمدلول، فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص، أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها، وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته، ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع" [20].

وبناء على تلك الرؤية يدرس هامون الشخصية ووظائفها في النص السردي عبر عدة محاور:

- دال الشخصية.
- مدلول الشخصية.
- مستويات وصف الشخصية [21].

---

[17] نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص3). نقلًا عن مصدره الغربي، (ص 176-180).
[18] انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص213).
[19] النعيمي، فيصل غازي، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبدالرحمن منيف، (ص169).
[20] لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، (ص51).
[21] انظر: بنكراد، سعيد، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، (ص17).

وقد صنف الشخصية، في الدراسات التي تعتمد السيميائية منهجًا لها، إلى ثلاث فئات:

1- الشخصية الإشارية.
2- الشخصية الاستذكارية.
3- الشخصيات المرجعية التي تضم الشخصيات التاريخية، والأسطورية، والمجازية، والاجتماعية.

وانطلاقًا من تلك التصنيفات تحاول هذه الدراسة الكشف عن أنماط الشخصية في رواية الغجرية والثعبان، ثم محاولة تحليلها سيميائياً وفق عدّة محاور ترتبط ارتباطا وثيقًا بتوزيع العوامل، ودال الشخصية، ومدلولها.

ثانيًا: الشخصية والعلامة في رواية الغجرية والثعبان

وبناء على ما تقدم فقد انقسمت الشخصيات المرجعية في رواية (الغجرية والثعبان) لإبراهيم الناصر الحميدان إلى عدة أقسام نتناولها كالآتي:

1- الشخصيات المرجعية:

وتنقسم إلى:

أ. الشخصيات الاجتماعية

تتداخل الشخصيات فيما بينها، فمنها ما هو مرتبط بالأسرة، ومنها ما هو مرتبط بالعمل، وسماتها وأفعالها ترتبط بالمجتمع الذي تعيش فيه وتحيل إليه، ومن تلك الشخصيات في رواية الغجرية والثعبان:

شخصية سلطان الذي يظهر منشغلًا بمتابعة الدوائر الرسمية؛ للحصول على مناقصة التمديدات الكهربائية؛ ويترقى في عمله من عامل في شركة تعهدات إلى مستثمر مع شريك له في هذا المجال، فيصبح أحد المستثمرين البسطاء. ويظهر في خطابه مناديًا بحقوق العمال والضعفاء، ليحيلنا إلى الأفكار الاشتراكية التي تأثر بها، وفي الوقت الذي يظهر متشدقًا باسم الفقراء والعمال البسطاء، يكشف في جوهره ميله إلى التسكع وملاحقة الراقصة الغجرية محور الخطاب الأسطوري في الرواية... وهذه المفارقة في شخصيته توحي بالفراغ الذي يعانيه، فيحاول أن يشبع ميوله وحاجاته النفسية بالتسكع والبحث عن وسائل اللذة والمتعة عند تلك الغجرية.

وأما عامر فينشغل بزيارة جريدة "الفجر" بوصفه واحدًا من كتّابها، الذين يهتمون بالكتابات الصحفية، ويحرص على إيصال رسائلهم لجمهور القراء، حيث تظهر أبعاد علاقته بسليمان مسؤول التحرير في الجريدة، وبسند الدسم صاحب المطبعة والجريدة، "ومن خلال اللقاءات بين المثقفين في هذه الجريدة يطلعنا المؤلف على بعض الهموم والإشكاليات الثقافية والسياسية

والاجتماعية التي شغلت المثقفين ما بين منتصفي الخمسينيات والستينيات، بوصف هذه الرواية – كما يتضح من أحداثها الواقعية – تتكئ كثيرًا على تجربة الناصر نفسها، وكأنها تغرف غرفًا من سيرته الذاتية المتماسة واقعيًا مع بطل روايته "عامر"..[22].

– (أبو سلطان) وهو من الشخصيات الأسرية في المجتمع، وكان من بين هؤلاء القوم، وقد سأله عامر: أكان أبوك مقاتلًا ...ومات في معركة؟ [23]. وهو سؤال يستدعي تاريخ الأب وبطولاته، ويحيل إلى تاريخ من النضال يحاول من خلاله معرفة على ماذا يتكئ سلطان من تاريخ أبيه النضالي ليستند عليه في الحاضر.

وشخصية الأطفال الذين يجدون في هذا المشهد تسلية لهم عند ذهابهم إلى الدراسة والعودة منها[24].

– شخصية الكهل العجوز عم سلطان (العم صقر)[25] الذي يكشف عن مخزون كبير من الخبرة، ويحيل إلى رصيد هائل من التجارب لا يمكن الاستغناء عنه من قبل شخصيات الرواية الرئيسة في مسيرتها في الحياة. ومن تلك الإشارات والنصائح المحيلة إلى خبرته وتجربته ما ورد في قوله: "سمع الخال يقول ناصحًا: يا ولدي لا تصير خفيف وتعطي من غير حساب... ربعهم كثيرين.. تلقاهم في كل موقع.. والحرص واجب وإلا مصيرك الخسارة وعندها... ما أحد يسمى عليك...ولا يساعدك"[26].

وأحيانًا يذكره بوصف الكهل في إشارة إلى مخزونه الكبير الذي يمتلكه من الحكمة والنصح، فيخاطب عامرًا بعد أن قال له عامر "صباح الخير يا الخال ما شاء الله عليك تصحى بدري، فردّ عليه الكهل وهو ينهض.. اقترب موعد صلاة الفجر .. وأسمع الأذان من بعيد.. قال ذلك وهو يشير بيده التي شمرها استعدادًا للوضوء"[27].

فالكهل (الخال) يُعد من الشخصيات المرجعية التي تقوم بوظيفة الإخبار وتقديم المعرفة "إذ تزخر الرواية السعودية بمجموعة من الشخصيات التكرارية التي تقوم بعدة وظائف على مستوى التواصل والتبليغ، والتنظيم والتنسيق بين الأصوات الساردة والشخصيات السردية المتماثلة والمتقابلة، سواء أساسية كانت أم ثانوية أم فرعية. ومن ثم، فهذه الشخصيات التكرارية تؤدي عدة وظائف سيميائية داخل النص الروائي، تتمثل في: الإخبار والمساعدة، والتبشير والإنذار، والتذكر والاسترجاع، والاستشراف والاعتراف، والاستشهاد والتنبؤ، والتمني الحلمي والتفسير والتأويل... فقد اعتمد الروائي السعودي في أغلب

[22] المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، مقال بجريدة الجزيرة، العدد 10976، شعبان 1423هـ - أكتوبر 2002م. http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm
[23] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، دار الهلال، الرياض، 1995م، (ص 8).
[24] انظر: الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص 14).
[25] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص 15).
[26] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص31، 32، 33).
[27] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص33).

الأحيان على رواة آخرين يساندون عملية السرد ويطورونها، مما يضمن في كثير من الأحيان إضافة عنصر التشويق، وكسر الرتابة المتأنية من تصدُّر الروائي الواحد حركة السرد"[28] .

ومثله شخصية منور التي تحكي قصص غرام بين جبلين.. إلخ، وتحيل إلى قصة أسطورية قديمة متداولة توحي بخبرته في الحياة وأوردها بهدف العظة والعبرة، وأحيانًا يحيل إلى نصوص شعرية معروفة تكشف في دلالتها السيميائية عن عدم دوام الحال، وأن العاقل لا يغتر بطيب العيش وإقبال الدنيا عليه، فيستدعي قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس بعد زوال ملك المسلمين فيها منشدًا:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

ويقول له: "ضع هذه الحكمة أمامك ليقرأها هؤلاء الموسرون"[29].

وهناك شخصيات ذات مرجعية مهنية اجتماعية، وهي التي تخدم الشخصيات المحورية في الرواية مثل الخادم الطبيب والمهندس القهوجي وغيره، ومنها أيضا:

– القروي الذي تشارك مع سلطان لتمويل عملية تمديدات كهربائية في قرية قريبة من مدينة الرياض، ثم انقطع الحديث عنه[30].

عشرات العمال الذين يتجمهرون على جانبي الطريق بحثًا عمن يعرض عليهم العمل، وصورتهم المثيرة وهم يتراكضون من كل الجهات بمجرد أن يروا شخصًا يوقف عربته وينادیهم، ثم يتلفت بحثًا عن ضالته من بين هذا الكم الهائل من العمالة العاطلة [31]. وهي صورة تحيل إلى الواقع المعيش وأثره البائس في الناس، وعلاقة الطبقة العمالية بأولئك الأغنياء الذي ينتقون من بينهم من يناسبهم لشغل العمل الذي يريدونه، وتدل من جهة أخرى على ارتفاع معدل البطالة التي نتج عنها كثرة العمال الذين يبحثون عن عمل ويتراكضون إذا رأوا من يقف باحثًا عن عامل.

–ومن تلك الشخصيات التي لها صلة بالعمل أيضًا سند الدسم شريك بالمطبعة، وهو "كهل في الأربعين من العمر، أسمر اللون نحيف الجسد، حاد الطباع، منابعه الثقافية محدودة جاد في تصرفاته، وإن كان يميل إلى السخرية، متزوج وله ثلاثة أبناء، يميل إلى القصر، له شارب صغير، وذقن قصير، مستدير الوجه صغير الأنف، شريك في المطبعة ...[32]. وهيئته وصفاته وعمره. وكل صفة من تلك الصفات تشير بدلالتها السيمائية إلى شخصية قوية وحادة في تعاملها مع العاملين، ودائمًا ما ينظر العامل إلى رب عمله ويفهمه من خلال ملامحه الموصوفة.

[28] الفواز، الريم مفوز، سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، (ص97).
[29] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص56). والبيت الشعري لأبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس، انظر: ديوانه، د.ت، (ص4).
[30] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص 5).
[31] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص21).
[32] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص26).

–وكذلك الأسمر الذي يحمل القهوة (القهوجي) "دخل الشاب الأسمر يحمل أدوات الشاي مسرعًا، ومضى إلى الدسم مباشرة قائلًا: عمي تشرب شاي.. وإلا أجيب القهوة.

ثم يصف الأسمر بالهدوء والتفكير ومراقبة مسؤوله الذي في المطبعة، وهو يحاول أن يلبي طلبه، ويعرف ماذا يحتاج قبل أن يطلب منه، فيقول: "ووقف الأسمر ينظر إلى الأرض بينما يسرق النظر بطرف خفي إلى الرجل الذي له كلمة نافذة في المطبعة وكذلك الجريدة...إلخ" [33].

وفي موضع آخر يصف الأسمر بقوله: "وكان الفتى؟ الأسمر المكلف بالتخديم أكثرهم انشغالًا، إذ يطوح بما يستر رأسه ويبقى حاسر الرأس حتى لا يُعاق عن إمطار فناجين الشاي بالسائل الذهبي، ونقلها من واحد إلى آخر، كما يقوم بالانتقال إلى غرفة الخدمة حتى يتأكد أن الماء في السخان جاهز لعمل شاي جديد عند الضرورة مرددًا، وهو ينتقل ..أبشر.. أبشر.. حاضر، ولكنه لا ينسى أن يشفط نفسين من السيجارة قبل أن ينطلق في هذه المهمات السريعة...حيث يضع السيجارة في منضدة سرية تحت أحد الشبابيك لا يعرف مكانها أحد" [34].

وفي موضع آخر يتكرر وجود تلك الشخصية، وبصورة أخرى تبين عن الإعياء والتعب الذي أصابه لكثرة انشغاله بخدمة الحضور فيصفه بالشاب الأسمر، ونادرًا ما يذكره باسمه الذي يوحي بالرمزية، "فحين كان سليمان يريد أن يتحدث مع ليلى بصوت هامس لولا أنه لا يريد أن يفوته مما يقال في تلك الجلسة.... بينما الشاب الأسمر، ويدعى (عثمان) يتحرك بتثاقل، وقد بدا عليه الإعياء وتصبب العرق من جبينه. نظراته توحي بالاسترحام وطلب الرأفة به، ومع ذلك فإنه لم يتوقف عن العمل أو يكفّ عن سحب نفسين قويين من سيجارته في ذلك المكان الخفي بين الصحف" [35].

–ومن تلك الشخصيات التي لها صلة بالعمل رجل الأمن الذي يظهر وهو يعلّق سلاحه على خاصرته بواسطة حزام ذي فصوص لامعة، عابس المحيا، فاكفهر وجهه لهذا اللقاء، وتحامى عنه بالنظر إلى ما خلف كتفه بانزعاج وقلق متسائلًا ما ضرورة حمل السلاح في بلاد آمنة؟ أهي مغازلة للجاهلية التي اندثرت بعد أن تنادى سكان الجزيرة وقوفًا أو جلوسًا.. الله أكبر ..الله أكبر...." [36].

ويتشكل العالم الواقعي من خلال حركية هذه الشخصيات في الحياة العامة المألوفة ما بين الدمام والرياض، والسكن في أماكن متفرقة من الرياض؛ في المربع، ومنفوحة، والبطحاء، والعود... والعمل في أماكن متعددة أبرزها مكتب جريدة الفجر،

[33] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص27).
[34] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص44).
[35] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص47).
[36] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص35).

والمصرف المالي ... وكلها أماكن تشير إلى صخب الحياة وأجواء الضغط النفسي التي تتركها لتكشف عن هموم المجتمع وما يعانيه في حياته اليومية[37].

ومن الشخصيات الاجتماعية بقية شرائح المجتمع العجوز، والصحفي، والطبيب وكل من له علاقة بالشخصيات المحورية، فهناك بعض الشخصيات التي تعبّر عن ضمير الجماعة الفكري والعقائدي والاجتماعي، ومهمتها هي القيام بوظيفة التنبؤ والإنذار مثل شخصية منور كما أسلفنا، وشخصية العم صقر التي تقوم بدور التنبوء والإخبار عن عالم الجن وكيف يديرون أمورهم ومدى اقترابهم من البشر.. إلخ.

"أما المرأة الواقعية فقد غابت عمومًا عن بنية السرد، باستثناء لمحات محدودة جدًا عن الفتاة الشقراء ذات القامة الطويلة والعينين الزرقاوين التي أولع بهما، فلا يرى في ذلك الوجه سوى هاتين العينين اللتين لا تبيحان له بشيء مثل صفحة الماء في بحر هادئ. وهي تعمل في مكتب نائب رئيس الشركة في الدمام، وليلى المندوبة الوحيدة عن النساء في الجريدة، التي تظهر عن طريق مكالمات هاتفية غير واضحة مع سليمان مسؤول التحرير، بل إن صوتها أحيانًا يريد أن يخترق سماعة الهاتف ليحضر بين المثقفين، فيعبر عن رأيه ورأي المتعاطفات مع الجريدة. وزوجة سليمان تظهر هي الأخرى من خلال بعض الحوارات بينها وبين زوجها على فراش النوم داخل منزلهما، وهي حوارات تعبر عن غيرة المرأة على زوجها من النساء الأخريات، وتعد هذه الغيرة بجانب التعلق بأفكار الجن لدى النساء مدخلًا يفضي بالمثقف سليمان إلى أن يصف زوجه والنساء كلهن بقوله: "معقدة .. جاهلة.. كلكن نساء غبيات[38] ".فيدين هذا الموقف – بكل تأكيد – خطاب الناصر الذي همش دور المرأة في الرواية، كما همش شخصيتها التي يفترض أن تكون فاعلة، لا مهمّشة معقدة جاهلة غبية**!!"**[39].

فكل الشخصيات السابقة قد أدت دورها المتمثل في تفعيل أحداث الرواية في إطار العلاقات المتبادلة بين الشخصيات الرئيسة والشخصيات الثانوية، وتتشكل تلك العلاقات من منظور الراوي العليم.

ب. الشخصيات التاريخية

وتتنوع هذه الشخصيات فمنها الشخصيات ذات المرجعية الدينية؛ إذ يستدعي شخصية المسيح في مقولته الشهيرة "من كان منكم بلا خطيئة فليرم بحجر"، ويقول : "أهذا قول للمسيح أم الدجال؟" [40].

وفي سياق آخر يستدعي شخصية دينية صوفية مشهورة في التاريخ وهي شخصية رابعة العدوية في سياق دعوته إلى فهم الحياة، وجعلها نزهة يتبادل الناس فيها الحب والمعرفة بأن نكون عونًا للخير والابتعاد عن الشرور.. ليستلهم من شخصية رابعة العدوية حب الله، ومن جهة أخرى عدم الإسراف في حب الذات فيقول: "عشق الحياة والذات قد يمتد إلى عشق الله

[37] انظر: المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان،http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm
[38] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص58).
[39] المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm
[40] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص26).

والتصوف كما حدث لرابعة العدوية التي يقال إنها أسرفت في حب الخالق عز وجل؛ ولهذا وضعت كل صبوتها في حب الذات الإلهية. ثم قضت وهي مبتسمة لهذا العشق الذي ملك عليها كل ذاتها" [41].

كما يستدعي شخصيات الملوك الفراعنة في وصف الغجرية وجمالها الأسطوري ليعلل هذا الجمال السحري الذي تتصف به فيقول: "معجون دمها من ذهب الفراعنة قبل أن يواروه قبورهم الجاثمة بين الصخور في تلك الأهرامات العجيبة" [42].

ثم الإشارة إلى الشخصيات اليهودية المرابية في الأزمان السحيقة كاستدعاء رمز ديني تاريخي كان يستخدم الدين من أجل الاحتيال، بقوله عن أولئك الأبالسة المحتالين الذين يحتالون على أموال المحتاجين ويسرقونها، فيشبههم باليهود المحتالين في قوله: "إنهم يشبهون ما يُقرأ من أساليب المرابين اليهود في الأزمان السحيقة الذين يصادرون حتى الزوجات عند عدم تسديد مديونياتهم" [43].

وأما الشخصيات ذات المرجعية السياسية فقد قل وجودها في الرواية، في حين وجدت الشخصيات ذات المرجعية الثقافية كأهل الأدب والغناء وغيرهم، فيستدعي شهرزاد ويوظفها في روايته وهو يصف محبوبته، ويجعل من نفسه شهريار المعجب المفتون في حب شهرزاد،[44] وهي حالة من النرجسية العالية تشير إلى قدسية حبه وسموه على غيره.

- كما تحضر شخصية قيس وليلى بوصفهما مثالًا للحب والتغلب على متاعب الحياة" وحب الإنسان لآخر قد يرتفع من انحدار المحسوسات إلى شفافية وذرى المثالية كما نرى في حب قيس وليلى الرواية التي حزن من أجلها قد يحاول كاتبها أن يجعل أبطاله من شهداء الحب وهناك أمثال بالآلاف في التاريخ القديم" [45].

وكانت آخر رواية قرأها بعنوان الحسناء والكهل جعلته يبكي.. وهي قصة حب غريب نشأ بين فتاة في العشرين من عمرها جذابة شقراء...وفي الأخير يتساءل هل في هذا الزمن الدموي الأغبر –زمن الانقلابات العسكرية– يعيش النمط الرومانسي جنبًا إلى جنب؟ ثم يتساءل: أي منحدر يجتازه العالم في هذا العصر؟

"والمهم أن هذه الحكاية وقصص العشاق الكثيرة، كقصة رابعة العدوية، وقيس وليلى، وتبدو أسطوريتها من خلال كونها تحيل أبطالها إلى شهداء الحب من وجهة نظر السرد!!"[46].

كما نجد في الرواية مجموعة من الأسماء ذات المرجعيات الثقافية التي تشكل محورًا للحوارات الثقافية التي تدور في مكتب الجريدة، بوصف الجريد علامة ثقافية يجتمع الناس فيها ليستعرضوا ثقافاتهم كونها متنفسًا ثقافيًا، على مستوى الرؤى الفكرية التي انشغل بها وضع المثقفين آنذاك، وهو مستوى يحد من تنامي جماليات بنية السرد؛ لذلك ينقطع التتابع السردي

[41] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص36).
[42] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص105).
[43] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص58).
[44] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص99، 104).
[45] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص36).
[46] المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm

مما يجعل البنية الروائية ميالة إلى التقشف الفني بسبب ما يمكن تسميته "هيمنة الحوارات الداكنة المحكومة برقابة يفرضها الناصر على خطابه السردي" [47] ... وقد برز من بين الأسماء ذات المرجعيات الثقافية شخصيات: نوار، وعواد، ورعشان، وصالح المنشف، ومنور، ومسعود الكرولي، والسامعي، وسامح... وغيرهم ممن يحضرون إلى الجريدة.

ج. الشخصيات المجازية أو الأسطورية (الرمزية)

تحضر الشخصيات الأسطورية في الرواية السعودية بوصفها علامات سيميائية توحي في دلالاتها البعيدة إلى معانٍ أخرى غير ظاهرة، يكتشفها المتلقي الناقد للخطاب السردي بأدواته الخاصة التي يحلل بها النص السردي.

فهي تحضر في الرواية السعودية بوصفها علامات سيميائية ذات دوال لسانية، تحمل في طياتها مدلولات مرجعية وذهنية، وتحيل إلى تصورات مفهومية ومقصديات مباشرة وغير مباشرة؛ مما أتاح إمكانية كبيرة لخلق أنماط شخصيات متنوعة لا تتناسخ ولا تكرر ذاتها [48].

وإذا أمعنا النظر في قراءتنا رواية الغجرية والثعبان بشكل عام، فسنجد أنها ذات إحالة رمزية أسطورية في أغلبها، إذ تختزل في حركية سردية مسكونة بالغرائبي الملازم للشخصيات والأزمنة والأمكنة والأحداث واللغة، ومن ثم تتشكل جماليات الرواية من اللغة الخارجة عن المألوف والعادي من الكلام، بوصفها بنية خطابية سردية جديدة ينزاح فيها الخطاب السردي إلى سياق الخرافة والأساطير مع عدم إهمالها للواقع الذي تدور فيه أحداث الرواية، فتبقى الرواية تواصلية، يفهمها القارئ العادي بطريقته الخاصة، على أساس أنها تنهل من تراثه الشعبي ومخياله الجمعي، كما يفهمها الناقد بطريقة مغايرة قد تكون مليئة بالرموز والدلالات إن أعمل ذهنه لاكتشاف ما وراء النص وتأويلاته.

ينتقل بطلا الرواية (عامر، وسلطان) من الدمام إلى الرياض، ويعيشان خلال الطريق بين المدينتين حالة أسطورية بين الأرواح الهائمة في صحراء الدهناء؛ كأن يرى سلطان والده المتوفى يرقص "العرضة" بين الأرواح والجان . ثم يقيمان في المربع وسط الرياض عند "صقر" عم سلطان.

أما بقية الشخصيات فيتداخل فيها الواقعي والأسطوري إلى حد كبير، وهي شخصيات: الغجرية وثعبانها، وشنقافة وكلبته، والعجوز التي تخدم في بيت عامر وأسرارها في التحول والقدوم من عالم الأرواح، والقط الأسود، والشاة الملونة... وهذه الشخصيات الأسطورية –تحديدًا– تعدّ محور مقاربتنا للبنية الأسطورية أو المخيال الشعبي في الرواية!! [49]. كأفعال بعض الشخصيات التي تحيل إلى قضايا أخرى مجازية أو رمزية مثل قضايا السلام والتعايش والحب وغيرها.

[47] المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm
[48] انظر: حليفي، شعيب، شعرية الرواية الفانتا سيتكية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009م، (ص197).
[49] انظر: المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm

ومن الشخصيات الرمزية أو الأسطورية تلك التي تتصل بعالم الجن وعالم الأساطير وهي شخصيات خيالية وبعيدة عن الواقع ومنها:

-حكاية قصة غرام بين جبلين اسم أحدهما (سنام)، والآخر الأنثى اسمها (طمية)، ويبدو أن الجبال الأخرى لم تعجبهما هذه العلاقة فأرادوا الإيقاع بين الحبيبين، وقد نجحت هذه المكيدة، وربما أن نجاحها اعتمد على خيانة طمية ومغازلتها لجبل آخر؛ مما أغضب سنامًا، وأراد الابتعاد عن حبيبته ليعاقبها على فعلتها، فأسرَّ إلى صديقه الجمل ....إلخ تلك القصة الأسطورية التي ترمز إلى أثر الفراق على المحب وقيمة الوفاء في الصحبة والرفقة، وهو يستدعي بذلك قصة المثل المعروف" زعلت سنام على طمية).

وأحيانا يضفي على محبوبته صفة القداسة، ويحيل بذلك إلى شخصية أسطورية لإله الجمال عند الرومان (فينوس) ليصف بها محبوبته، [50].

ويمكن القول إن العالم الأسطوري هو العالم الأساس للرواية، وهو(عالم الخرافات الشعبية)، ويعد محور الرواية، ويظهر من خلال استحضار العلاقات غير الواقعية؛ أي العلاقات التخييلية، متمثلة بمجموعة من الرموز الغرائبية أو الأسطورية الساكنة في أعماق مخيال الرؤية الشعبية، كشخصيات الجان، والفتاة الغجرية، والثعبان، والقط الأسود، والكلب، والشاة المخططة، والأرواح الساكنة في القبور، أو الهائمة في الصحراء، والتحول من شخصية إلى أخرى في سياق المفهوم الشعبي المتصور عن تحولات الأرواح وتناسخها[51].

2- الشخصيات الواصلة

وتعد هذه الشخصيات بمنزلة علامات لغوية فارغة تنوب عن المؤلف في سرد الأحداث داخل النص كالسارد، بضمير الأنا، ومن الصعب الإمساك بهذا النوع من الشخصيات كما يرى هامون، وتعد شخصيات رئيسة من شخصيات العمل وليست شخصيات تابعة للبطل فحسب[52]. وتمثل شخصية العجوز، التي وجدها عامر في غرفته تخدمه جنية من عالم الأرواح، شخصية من الشخصيات الواصلة، فهي تخبر عامرًا أنها كانت جارة لأمه قديماً، وأن أمه التي توفيت منذ زمن طويل هي التي بعثتها إليه لتساعده في أمور حياته، تقول له: "أنا مرسلة من والدتك حتى أخدمك فلا تقلق(..) أنت لا تعرفني، وأنا من جيرانكم في الحارة، وليس لدي أبناء لأنني لم أتزوج، وأنت ابني وزوجي في ديار الغربة" [53]. وكذلك تبدو الغجرية في بعض جوانبها فتاة جنية تصورت في صورة هناء حبيبة عامر قبل عشرين عاماً...

[50] انظر: الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص104).
[51] انظر: المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان،http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm
[52] انظر: بنكراد، سعيد، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، (ص، 17، 18، 26).
[53] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص80).

إن عالم الجن والأرواح عالم أساسي وجوهري في نسج العالم الأسطوري لواقع الرواية، ويتضح ذلك في بناء الشخصيات الخيالية المبتكرة من مخيلة المؤلف، وزمن الرواية ومكانها ولغتها أيضًا؛ وهذا ما جعل النص السردي للرواية متجددًا ومؤثرًا في القارئ.

ثالثًا: دال الشخصية ومدلولها في رواية الغجرية والثعبان

من حيث الدال نجد أن سيميائية العنوان تحيل إلى دلالات متناقضة تتضح في ما يوحي إليه عنوان الرواية (الغجرية والثعبان)، وهما اسمان علمان، وما يحيل إليه هذا العنوان من إشارات ومعانٍ خفية تفهم من خلال التأويل؛ إذ إن الغجرية تحمل دلالة الغجر وأفعالهم، وما تحيل إليه تلك الدلالة من ارتحال، وتنقل، وعدم ثبات، واختلافهم عن عادات السكان المدنيين وتقاليدهم، واختلاف أسمائهم وغرائبيتها؛ لاختلاف الأماكن التي يعيشون فيها وعدم ثباتها، وهو ما يشبه عالم الجن وتناقضاته المميزة له من عالم الآدميين، فضلًا عن ارتباط تلك الدلالة بخصوصية الجمال المتفرد الذي تتمتع به الغجرية المختلف عن المألوف والسائد. "الغجر مفتاح القهر لأهل السياسة والمكر، يطوفون الدنيا وخاصة الصحاري، ولا أحد يعرف لهم منبتًا ولا مربطًا، ولا يستطيع أن يمنعهم من أكل الثعابين والحصرم، ويتناسلون بهدوء ولا يعرفون المدينة أو البندر، عشقهم للمرح والحرية أذاب أمامهم جميع العقبات، فجعل الأرض جميعها مفتوحة لهم وبسلام، يدخلون ويخرجون من الممالك والأقطار وحتى من تحت الأرض" [(54)].

أما الثعبان فيوحي بدلالات الخوف والغدر بما يحمله داخله من سمّ قاتل، وهذا يتناقض تمامًا مع دلالات الغجرية، لتصبح الرواية محمّلة بدلالات متناقضة بين الغجرية ودلالتها الموحية بالجمال والأمن والحب، والثعبان ودلالاته الموحية بالخوف والموت. كل تلك الدلالات أسهمت في إبراز عالم متناقض من العلاقات المتناقضة تمامًا، وهو ما يتناسب مع عالم الخيال والجن والأساطير التي تضج به الرواية.. فالعنوان تقنية سردية وعلامة سيميائية يستطيع من خلالها الناقد الكشف عن العوالم الخفية للرواية.

وأما من حيث أسماء الشخصيات فنجد أن الاسم إحدى السمات المميزة للشخصية الروائية، إذ إن كثيرًا من الأسماء تلخص لنا الشخصية التي وضعت لها في الرواية، وتدل على حقيقتها ووصفها بإيجاز، ولا يوضع الاسم ويختار في الرواية عبثًا واعتباطًا، بل إن الروائي يختار أسماء شخصياته بعناية، لتكون متناسبة مع ما يرمي إليه في سياق الأحداث التي تخوضها تلك الشخصيات، فهو يعيّنها ويخصها بكيان محدد ومهمة محددة أيضًا، ولذلك يكون للاسم المختار دلالة مهمة تسترعي اهتمام الناقد؛ لأن الراوي اختاره بعناية، وانتقاه عن قصد وخبرة، مراعيًا مستواه الاجتماعي والثقافي، وجنسه واتجاهه، وغير ذلك من المعطيات التي يخضع لها اختيار اسم الشخصية داخل الرواية.

[(54)] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص95).

وفي رواية الغجرية والثعبان تطالعنا بعض أسماء الشخصيات في الرواية التي تحمل دلالات متنوعة؛ منها ما هو إشاري، ومنها ماهو رمزي، ومنها الديني، والاجتماعي، والعائلي، ومنها الطبقي، والأجنبي...وغيره.

فاسم عامر، أحد أبطال الرواية الثلاثة (عامر، وسلطان، الغجرية، والثعبان) يشير في دلالته إلى ما يحمله اسم الفاعل (عامر) من دلالة على المكان الآهل بالسكان والحركة والنشاط، فضلًا عما تحيل إليه هذه الدلالة من الخير والبناء والأنس والراحة، وبخاصة مع محبوبته الغجرية التي أغراه جمالها.

أما سلطان، صديق عامر الرجل الثري الذي رافق عامرًا في رحلته من الدمام إلى الرياض، فدلالة اسمه (سلطان) التي تحيل إلى السلطة والملك، تتناسب مع الثراء والغنى الذي لازمه، فضلًا عن معنى السلطة والتسلط، ولذا أراد بقوته وسيفه وثرائه أن يستحوذ على الغجرية من دون عامر، فيظهر في النهاية على حال من حالات الجنون، يحمل سيفًا، ويتحدى عامرًا، متهمًا إياه بأنه اختطف عشيقته منه.

سند الدسم الشريك في المطبعة، واسمه مركب من كلمتين، ولهذا الاسم أبعاده السيميائية التي تتناسب مع دلالته في السياق الموضوع لها في الرواية؛ فهو شريك سلمان في المطبعة، وهذا ما تحيل إليه لفظ (سند)، وهو الغني الثري الذي يجلب الأنظار إليه، وهذا ما تدل عليه لفظة (الدسم) التي تحمل بُعدًا ماديًّا يُطلق على الغني في الذاكرة الشعبية بأنه (دسِم) في إشارة إلى الغنى والترف على الرغم أن منابعه الثقافية محدودة، لكن كلمته نافذة في المطبعة والجريدة، في إشارة إلى أن المال هو الذي يتحكم بالثقافة ويسير معها [55].

وأما العم صقر(الكهل) عم سلطان، فدلالته اسمه تشير إلى الذكاء والفطنة ورؤية الأشياء عن بصيرة وخبرة وهذا ما تشير إليه دلالة اسمه (صقر)، والصقر في المعاجم هو الطائر الذي يُصاد به من الجوارح.. والصَّقْرُ كلُّ شيء يَصيد من البُزَاةِ والشَّواهينِ، ويضرب به المثل في حدة النظر وتفحص الأشياء، ويتناسب ذلك مع ما أورده الراوي عن صقر الذي يرى" أن الجان يعيشون مع الناس، وأن أغلبهم مسلمون لا يؤذون أحدًا من الإنس، لكن بينهم كفرة ومشركين، وهؤلاء يحتكون بالناس، ويمكن أن يحدث منهم أذى، أما خيارهم فلا.. وفوق كل ذي علم عليم..." ثم يشير إلى تركيزه بالنظر فيقول: "اختتم جملته الأخيرة مبتسمًا وهو يوزع نظراته بينهما وكأنما يرجوهم إعفاءه من المزيد من الشرح..." [56].

وفي موضع آخر يتكرر السياق ليبين عن حدة نظراته وتركيزه أكثر فيقول: "تضاحك صقر وإن ركز نظراته على ابن أخيه.. ظهرت عليه علامة الدهشة فعلق....، وقوله: فهز صقر رأسه وهو يفكر.. (كل شيء علمه عند الله) وفي إشارة إلى مهابته قوله: "كان يركز على سلطان وقد اصفر لون وجهه؛ مما جعل سلطان يكف عن أي تعليق" [57]. ومازال الصقر

[55] انظر: الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص26).
[56] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص17).
[57] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص18).

مثالًا للقوَّة والأنفة والعلو والسَّيطرة والمهابة والفروسيَّة والصَّبر والنَّباهة والـسُّرعة، وهذا الوصف يتناسب في صفات العم صقر ونباهته وعلمه وشدة ذكائه كما أظهره الراوي.

وأما سليمان فهو اسم للمسؤول عن التحرير بالجريدة، ويتجه نحو مقاومة المستعمر في كتاباته، ويظهر ذلك في مقاله الذي كتبه في الجريدة، وأشاد فيه بوعي الشباب الذين التقى بهم، وتعهد بمواصلة المسيرة التي درجت عليها الجريدة في طرح آراء الشباب وتطلعاتهم المستقبلية في الوقت الذي كانت تتأجج فيه الأفكار التحررية في الوطن العربي والمطالبة بالوحدة العربية... لا سيما بعد هزيمة الإنجليز في القناة واستعدادهم للخروج منها، والتي كانت تُعدُّ أكبر قاعدة استعمارية في القطر العربي آنذاك بل في الدول العربية كافة ....[58]. ويحيل دال سليمان الثائر المناهض للاستعمار إلى شخصية ثورية تاريخية تمثلت في البطل سليمان الحلبي، الذي اغتال قائد الحملة الفرنسية على مصر (كليبر) ومعه كبير المهندسين بالبستان الذي بداره بحي الأزبكية وهو مقر القيادة العامة بالقاهرة)، حيث تنكر سليمان الحلبي في هيئة شحاذ، ودخل عليه في حديقة قصره يوم 2 صفر 1216هـ الموافق 14 يونيو1800م، وعمد سليمان الحلبي يده، وشدّه بعنف، وطعنه أربع طعنات متوالية أردته قتيلًا، وحين حاول كبير المهندسين الدفاع عن كليبر طعنه أيضًا ولكنه لم يمت، فيندفع جنود الحراسة الذين استنفرهم الصراخ فيجدوا قائدهم قتيلًا، فامتلأت الشوارع بالجنود الفرنسيين، وخشي الأهالي من مذبحة شاملة انتقامًا من الاغتيال، في حين تصور الفرنسيون أن عملية الاغتيال هي إشارة لبدء انتفاضة جديدة، أما سليمان فقد اختبأ في حديقة مجاورة إلى أن أمسكوا به ومعه الخنجر الذي ارتكب به الحادث، (والذي يحتفظ به الفرنسيون إلى يومنا هذا في متحف الإنسان بقصر شايو في باريس مع جمجمة سليمان الحلبي في علبة من البلور مكتوبًا تحتها: جمجمة مجرم)[59]. فكان دال سليمان وسياق المقال بمثابة إشارة إلى توجه الصحف، ومهمتها في إذكاء الروح الجديدة في المجتمع العربي، وخاصة بين تيار الشباب.

الخادم الأسمر عثمان (القهوجي)، الذي يصرح باسمه لأول مرّة في الرواية، وعندما يتبادر عثمان يتبادر إلى ذهن القارئ ما تحمله دلالات هذا الاسم تاريخيًا من التواضع والمبادرة والطيبة والتفاني في خدمة الناس، وكذلك اسم سامح الذي يشير إلى التسامح والعفو واللطف.

أما منور الذي يروي قصة سمعها من أبيه عن حكاية عشق أسطورية بين جبلين، ونوار الذي يتداخل بالحديث ليأتي بالسواليف والأشعار، وكلاهما شخصيتان تحضران لتحقيق غاية في الرواية هي الحديث عن القصص والسواليف القديمة والأشعار بهدف تأكيد حكمة معينة أو مثال أو قصة هادفة [60]، ولو لحظنا أن اسم منور ونوار مشتقان من النور والضياء، ودورهما في الرواية يتناسب مع ما تحيل إليهما مادتهما المعجمية.

[58] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص22).
[59] انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki
[60] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص45).

أما اسم العلم (شنقافة) فيحيل بغرائبية اسمه إلى القبح والشر؛ لأنه مشتق من الشر، وهو "المنحوت من (شنق آفة)، وهو علامة محورية في البنية الأسطورية داخل الرواية"[61]. ودلالة اسمه تتناسب مع صفاته التي سجلها الراوي في الرواية: إنه شخص طويل القامة، داكن اللون، يرتدي ثوبًا قديمًا قاتمًا، له وجه مستدير، تتوسطه أسنان بارزة، وعينان جاحظتان، وشفتان غليظتان، وله يد كبيرة، ذات أصابع طويلة، وغير نظيفة، يلف غترته حول الجزء الأسفل من وجهه، ابتسامته مخيفة، وصوته مبحوح، غريب الأطوار، كأنه من صاحب الكرامات السحرة، يحك إبهام رجله الكبير بالأرض، فيخرج خيطًا من الدخان الأصفر، وتتقادح النيران من جسمه. يسكن في المقبرة، فيبدو للآخرين معتوهًا قبيحًا مسحورًا أو مسكونًا، فبيته حفرة كبيرة يصعب النزول إليها، لا يفارقه كلبه المخيف مثله!! ومن ثمّ يمثل من خلال قبحه، وثيابه الرثّة، ورائحته النتنة الغول بعينه.. ومع ذلك فهو أمير من الجن تقول عنه الغجرية: "حين يعود إلى طبيعته (الجن)، يصبح أجمل وأحلى من أبناء أهل الأرض، وزوجته الكلبة الضخمة تغار عليه، ولا تغفل عيناها عن حراسته. إنه ابن أمير من أمراء أهل باطن الأرض" [62].

فالشخصية بوصفها دالًا تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها كما يقرر هامون[63]. "فالأسماء إشارات سيميائية دالة على جوهر الشخصيات، بحيث تسهم في تعميق وجودها الفني"[64].

وأما من حيث مدلول الشخصية فنجد تنوعًا في تقديم الشخصيات وتعددًا في الروايات حسب تنوع الكتّاب وتعددهم وميولهم، فهناك من الكتّاب من يقدم شخصيات روايته بشكل غير مباشر، فيرسمها بصورة دقيقة، ويحجب عنها كل شيء مظهري، وهناك من يقدمها بشكل مباشر حين يخبرنا عن أوصافها وطبائعها، أو يوكل ذلك إلى شخصيات أخرى بصورة غير مباشرة، حين يترك للقارئ أمر استخلاص الخصائص والصفات والتعليق على النتائج المستخلصة من الأحداث التي تتشارك فيها تلك الشخصيات[65].

ويقترح فيليب هامون مقياسين لقياس الشخصيات الأول كمّي، ويهتم بكمية المعلومات المتوافرة والمعطاة بصراحة حول الشخصية، والثاني نوعي، ويهتم بمصدر المعلومات التي تقدم حول الشخصيات، هل تقدمه الشخصية بنفسها بصورة مباشرة، أم تقدمه بصورة غير مباشرة، أم أنها معلومات ضمنية تستخلص من خلال سلوك الشخصية وأفعالها داخل الأحداث الروائية[66].

وتتنوع الشخصيات في رواية الغجرية والثعبان، وتختلف باختلاف وظائفها، فمنها ما يؤدي دورًا رئيسًا في الرواية، مثل سلطان، وعامر، وسليمان، وسند الدسم، والغجرية، ومنها ما يكون دوره ثانويًا مثل العم صقر، ومنور، وشنقافة، وسامح، وبندر، ونوار، وهناء، والعجوز، والقهوجي...إلخ.

---

[61] المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm
[62] الحميدان، إبراهيم الناصر، الغجرية والثعبان، (ص101).
[63] لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، (ص51).
[64] نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص11).
[65] انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص223).
[66] انظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ص224).

"وقد يكون التركيز على إبراز صفات وسلوكيات معينة في هذه الشخصيات، وراء تقديم معلومات عامة ومركزة، بل قد يكون لها دلالات كبيرة تغني عن كثير من المعلومات المفتقدة حولها، وهذا سيكشف عنه المقياس النوعي"[67]. وهنا يعد كلام الراوي من أهم مصادر المعلومات الإخبارية[68]، حيث نجد في رواية الغجرية أن الراوي يقدم أكثر قدر من المعلومات حول شخصيات روايته.

وتتجلى الصورة الأولى في تعقيبه على الشخصيات المعارضة بشكل ساخر، ونلحظ ذلك في الوصف الذي يضفيه على بعض الشخصيات، ويصفها أحيانا بالأنف القصير واللسان الحاد، وغيرها من الصفات.

وقد يلجأ الراوي إلى استعمال تقنية الوصف كونها شكلًا رمزيًا قادرة على اختراق المجال الدلالي للتعبير عن أفكار عدّة[69].

ويكشف الجدول الآتي عن تلك التقنية التي استعملها الراوي في رواية الغجرية والثعبان لوصف شخصيات الرواية بشكل كبير:

جدول رقم (1): وصف الشخصيات

الواصف	الموصوف	محتوى الوصف	الصفحة
الراوي	سلطان	(خارجي) في الثامنة والعشرين من العمر.. قصير القامة، حاد الذكاء، أسمر اللون، يضع نظارات طبية ملونة على عينيه، مستدير الوجه، حليق الشارب والذقن، ...متعاطف مع الطبقة العاملة.	5
عامر	الجن	هم في الليالي المقمرة يفضلون الخروج من مكمنهم والجلوس في الهواء الطلق.. لكنهم مسلمون مثلنا...	6
عامر	الشقراء	(خارجي) تلك الشقراء ذات القامة الطويلة في مكتب نائب رئيس الشركة ... أحب عينيها الزرقاوين وفمها الصغير ذا الشفتين الرقيقتين ذات اللون الرماني.	8
الراوي	الكهل العم (صقر)	(خارجي وداخلي) كهل في الخامسة والأربعين من العمر يضع نظارات طبية على عينيه، مستدير الوجه، حنطي اللون، شاربه كثٌّ، ولحيته صغيرة، رفيع القامة، طويل الأنف، صغير الفم، شاحب الوجه إلى حدٍّ ما، بشوش، حيث إن الابتسامة ارتسمت على وجهه بمجرد أن رآهما.	15
الراوي	سليمان	(خارجي وداخلي) كان سليمان كما عهده ربوع القامة، حنطي اللون، يميل إلى البياض... عيناه سوداوان واسعتان، يستعمل نظارات طبية، مستدير الوجه.. شاربه كثيف الشعر، وذقنه صغيرة، أنفه مستقيم، وفمه الصغير الذي لا يخلو من سيجارة بين شفتيه، باسم المحيا، هادئ الطبع، مكتبه الصغير يمتلئ بالصحف...	24
الراوي	الشاب	(خارجي) شاب أسمر يرتدي ثوبًا أبيض، على رأسه كوفية، وبيده اليمنى يحمل	25

[67] نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص9).
[68] انظر: لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، (ص51).
[69] انظر: نصيرة، زوزو، سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، (ص9).

الواصف	الموصوف	محتوى الوصف	الصفحة
	الأسمر(القهوجي) عثمان	إبريق الشاي بينما الأخرى تحمل صينية معدنية عليها بعض الفناجين. تقدم نحو الضيف وهو يبتسم، ثم انحنى قليلا بجذعه الطويل حتى تكون الصينية المعدنية في موازاة يد الضيف.	
الراوي	سند الدسم	(خارجي وداخلي) كان القادم سند الدسم: كهل في الأربعين من العمر، أسمر اللون، نحيف الجسد، حاد الطباع، منابعه الثقافية محدودة، جاد في تصرفاته، وإن كان يميل إلى السخرية، متزوج وله ثلاثة أبناء يميل إلى القصر، له شارب صغير، وذقن قصيرة مستدير الوجه صغير الأنف... يحب السفر إلى الخارج كريم النفس.	26
الراوي	عامر	(خارجي) كان يتيمًا بعد وفاة والده.... كان آنذاك في التاسعة عشرة من عمره مكث وحيدًا في منزله عقب رحيل والده، كان خفيف النوم سريع اليقظة ..... كان يراه وسيما جدًا على عكس ما كان قد رسمه في ذهنه عن صورته.. كان أبيض اللون، مشربًا بالحمرة، ذا شارب دقيق ناعم في وجه مكتمل الاستدارة، الأنف فوق فم صغير ذي شفاه حمراء ناعمة، وذقن مدببة تتوسطها فلجة صغيرة، حاجبه أسود كثيف الشعر، تتردد أنفاسه بهدوء مثل طفل يختمر بالبراءة..	22
الراوي	شنقافة	(خارجي) إنه شخص طويل القامة، داكن اللون، يرتدي ثوبًا قديمًا قاتمًا، له وجه مستدير، تتوسطه أسنان بارزة وعينان جاحظتان، وشفتان غليظتان، له يد كبيرة، ذات أصابع طويلة، وغير نظيفة، يلف غترته حول الجزء الأسفل من وجهه، ابتسامته مخيفة، وصوته مبحوح، غريب الأطوار، كأنه من صاحب الكرامات السحرة، يحك إبهام رجله الكبير بالأرض، فيخرج خيطًا من الدخان الأصفر، وتتقادح النيران من جسمه. يسكن في المقبرة فيبدو للآخرين معتوهًا قبيحًا مسحورًا أو مسكونًا، فبيته حفرة كبيرة يصعب النزول إليها، لا يفارقه كلبه المخيف مثله!! ومن ثمّ يمثل من خلال قبحه وثيابه الرثة ورائحته النتنة الغول بعينه.	40
الراوي	الغجرية	(خارجي) فتاة عادية في العقد الثاني من عمرها، مديدة القوام، وقد أطلقت شعرها الناعم الطويل الذي بلغ عجيزتها مثل الحرير تطوح به يمينًا وشمالًا مع إيقاعات حركة جسدها .... كانت رشيقة الجسد، ذات عينين سوداوين، وأنف صغير، وثياب براقة بالخيوط الذهبية، بينما صدرها البارز يكتظ بالمصوغات البراقة، ذات ابتسامة عريضة براقة... راقصة بارعة ومغنية موهوبة..	64
الراوي	الفتاة	(خارجي) ذات بشرة بيضاء، وشعرها الحريري يتناثر فوق عجيزتها.. صدرها ناهد يكاد يمزّق الغلالة التي ترتديها.. أنفها صغير، وفمها يشي لونه بوضع	98

الواصف	الموصوف	محتوى الوصف	الصفحة
		مكياج طبيعي، وجسدها الممشوق، وردفان مشدودان، وسيقان ملفوفة ...	
الراوي	هناء	(خارجي) ذات الوجه المستدير والبسمة المشرقة... تلك الرشيقة الهيفاء ذات العينين السوداوين الواسعتين .. شعرها الناعم الطويل المنسدل على صدرها .. وصدر تتقافز فوقه ليمونتان ناضجتان..	102

لقد جاء معظم الوصف، كما رأينا في الجدول أعلاه، على لسان الراوي الذي يصف من الخارج في سبيل بيان ما تتمتع به الشخصيات الموصوفة من صفات تتناسب مع موقعها ووظيفتها في الرواية، بحيث يبدو الراوي وكأنه المسيطر على شخصيات الرواية وإدارة أحداثها. كما تركز معظم الوصف على الصفات الخارجية، وبخاصة الملامح الجسدية، فيما يختص بالمظهر كالوجه، والشعر، واللحية، والقصر، والطول وغيرها، في حين قلَّ وصف الصفات الداخلية التي تتعلق بالنفس، والطباع، كالكرم، والإحسان، وحسن الخلق، والتواضع وغيرها. وجاء معظم الوصف بطريقة مباشرة من الراوي العليم، في حين كان الوصف بالطريقة غير المباشرة قليلًا جدًا في الرواية.

كما نجد أن وصف الشخصيات تضمّن أحياناً بعض التشخيص البلاغي؛ فخرجت بعض الأسماء عن بعدها التقريري المعجمي إلى الفضاء المجازي الإيحائي؛ إذ إن اسم العلم "يشكّل بالنسبة للفكر الأهلي استعارة للشخص"[(70)]. وفي رواية الغجرية والثعبان يشخص الراوي العالم التخييلي الفلكلوري الخرافي من خلال شخصيات: الغجرية، والثعبان، وشنقافة وكلبته، والشاة الملونة، والقط الأسود، وأرواح الأموات في تحولاتها العديدة .."إذ يمزج إبراهيم الناصر بين هذه الأشياء من خلال تجسيد عوالم الجان والأرواح في واقعية العلاقة بين واقع الناس المعيشي الذي يمتلئ بخرافات ترى الثعبان أميرًا من الجان، يعشق الغجرية التي هي بدورها فتاة جنية، بل إن حارس المقبرة شنقافة الرثّ في شكله وملبسه هو أمير جني وسيم، وليس القط الأسود، والشاة الملونة، والعجوز، والطير سوى فتيات جنيّات جميلات"[(71)]. وقد أبرز ذلك بأسلوب التجسيد الذي شخّص من تلك الشخصيات الخرافية المتخيلة، وجعلها حيّة تعيش مع الإنسان وتشاركه الحياة والحب.

وقد يعمد الراوي إلى التغلغل في أعماق الشخصيات ليكشف عن رؤاها وتصوراتها وتفكيرها وما يجول في أفكارها وما يخطر في مشاعرها، ومن ذلك ما ورد في وصف القهوجي من أنه كان يطيل النظر إلى الأرض.....

والتركيز على إبراز الجوانب السيئة والكشف عنها لغايات معينة، والسخرية منها.

وكل تلك الشخصيات التي ظهرت في عالم الرواية تعبر عن الجوانب الثقافية والاجتماعية في محاور كشفت عنها الرواية من خلال عالمين؛ الواقعي، والأسطوري، وكان العالم الأسطوري هو الأساس في بنية الرواية، كما كان الراوي هو المتحكم في فعل الشخصيات وأقوالها في أغلب أحداث الرواية، محاولًا تصوير الواقع الأسطوري وأنسنته، ونقله من العالم الخيالي إلى الواقع المعيش.

(70) بنكراد، سعيد، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، (ص53). نقلًا عن كلود ليفي شترواس.
(71) المناصرة، حسين، ذاكرة المخيال الشعبي في رواية الغجرية والثعبان، http://www.al-jazirah.com/2002/20021017/cu10.htm

استنتاجات الدراسة.

الشخصية الروائية بوجه عام تأخذ طابع وظيفي، وتخضع لاعتبارات مفهومية حتى تكتسب هذه السمة، فهي في المقام الأول دور، والأدوار بطبيعتها متنوعة ومتعدّدة، وتشمل كل مشارك في العمل الروائي، سواء اضطلع بدور سلبي أو إيجابي، كما وتؤدي الشخصية الروائية وظائف متعددة في العالم الخيالي الذي يخلقه الروائي حيث تلعب دوراً رئيسياً ومهماً في تجسيد فكرة الروائي، ولها قيم فنية وجمالية، ويحمل عنوان رواية الغجرية والثعبان دلالات متناقشة، حيث إنها اسمان علمان، وما يحيل إليه هذا العنوان من إشارات ومعانٍ خفية تفهم من خلال التأويل؛ إذ إن الغجرية تحمل دلالة الغجر وأفعالهم، وما تحيل إليه تلك الدلالة من ارتحال، وتنقل، وعدم ثبات، واختلافهم عن عادات السكان المدنيين وتقاليدهم، أما الثعبان فيوحي بدلالات الخوف والغدر بما يحمله داخله من سمّ قاتل، وهذا يتناقض تمامًا مع دلالات الغجرية، لتصبح الرواية محمّلة بدلالات متناقضة بين الغجرية ودلالتها الموحية بالجمال والأمن والحب.

ويتجلى في رواية الغجرية والثعبان تطالعنا بعض أسماء الشخصيات في الرواية التي تحمل دلالات متنوعة؛ منها ما هو إشاري، ومنها ماهو رمزي، ومنها الديني، والاجتماعي، والعائلي، ومنها الطبقي، والأجنبي...وغيره. فاسم عامر، أحد أبطال الرواية الثلاثة (عامر، وسلطان، الغجرية، والثعبان) يشير في دلالته إلى ما يحمله اسم الفاعل (عامر) من دلالة على المكان الآهل بالسكان والحركة والنشاط، فضلًا عما تحيل إليه هذه الدلالة من الخير والبناء والأنس والراحة، وبخاصة مع محبوبته الغجرية التي أغراه جمالها. أما سلطان، صديق عامر الرجل الثري الذي رافق عامرًا في رحلته من الدمام إلى الرياض، فدلالة اسمه (سلطان) التي تحيل إلى السلطة والملك، تتناسب مع الثراء والغنى الذي لازمه، فضلًا عن معنى السلطة والتسلط، ولذا أراد بقوته وسيفه وثرائه أن يستحوذ على الغجرية من دون عامر، فيظهر في النهاية على حال من حالات الجنون، يحمل سيفًا، ويتحدى عامرًا، متهمًا إياه بأنه اختطف عشيقته منه. وأما العم صقر(الكهل) عم سلطان، فدلالته اسمه تشير إلى الذكاء والفطنة ورؤية الأشياء عن بصيرة وخبرة وهذا ما تشير إليه دلالة اسمه (صقر)، والصقر في المعاجم هو الطائر الذي يُصاد به من الجوارح، أما سليمان فهو اسم للمسؤول عن التحرير بالجريدة، ويتجه نحو مقاومة المستعمر في كتاباته، ويظهر ذلك في مقاله الذي كتبه في الجريدة، وأشاد فيه بوعي الشباب الذين التقى بهم، كذلك ظهر الخادم الأسمر عثمان (القهوجي)، الذي يصرح باسمه لأول مرّة في الرواية، وعندما يتبادر عثمان يتبادر إلى ذهن القارئ ما تحمله دلالات هذا الاسم تاريخيًا من التواضع والمبادرة والطيبة والتفاني في خدمة الناس، وكذلك اسم سامح الذي يشير إلى التسامح والعفو واللطف، وبرزت شخصية أخرى وهي منور حيث يروي قصة سمعها من أبيه عن حكاية عشق أسطورية بين جبلين، ونوار الذي يتداخل بالحديث ليأتي بالسواليف والأشعار، وكلاهما شخصيتان تحضران لتحقيق غاية في الرواية هي الحديث عن القصص والسواليف القديمة والأشعار بهدف تأكيد حكمة معينة أو مثال أو قصة هادفة، أما اسم العلم (شنقافة) فيحيل بغرائبية اسمه إلى القبح والشر؛ لأنه مشتق من الشر، وهو "المنحوت من (شنق آفة)، وهو علامة محورية في البنية الأسطورية داخل الرواية، فالشخصية بوصفها دالًا تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها كما يقرر هامون. "فالأسماء إشارات سيميائية دالة على جوهر الشخصيات، بحيث تسهم في تعميق وجودها الفني، أما من حيث مدلول الشخصية فنجد تنوعًا في تقديم الشخصيات

وتعددًا في الروايات حسب تنوع الكتّاب وتعددهم وميولهم، فهناك من الكتّاب من يقدم شخصيات روايته بشكل غير مباشر، فيرسمها بصورة دقيقة، ويحجب عنها كل شيء مظهري، وهناك من يقدمها بشكل مباشر حين يخبرنا عن أوصافها وطبائعها، أو يوكل ذلك إلى شخصيات أخرى بصورة غير مباشرة، حين يترك للقارئ أمر استخلاص الخصائص والصفات والتعليق على النتائج المستخلصة من الأحداث التي تتشارك فيها تلك الشخصيات.

الخاتمة:

لا تعدو شخصيات رواية (الغجرية والثعبان) إلا أن تكون إشارات سيميائية لا متناهية إلى عالم خيالي أسطوري رمزي، من خلال تشابكاتها وتفاعلاتها العلائقية، كما أن كل المقاطع في أبعادها النسقية لا تنفصل عن عالم الرواية والذات الساردة، وما يكتنفهما من آلام وآمال وتحولات وإحباطات، جسدتها صورة التجربة السردية، بصورتها الرمزية للواقع الغير موجود أو المتخيل في إشارة إلى حلم الذات في بناء ذلك الواقع الذي لم يفصح عنه إلا بإحالته إلى عالم أسطوري خيالي، وعلى هذا الأساس يصبح العالم الخرافي هو البعد المركزي في اللغة السردية.

كما أسهم اسم العلم الشخصي، والوصف، والتشخيص، -بوصفها علامات وإيحاءات لغوية دالة- في رسم الشخصيات الرواية وتحديدها، والتعبير عن أفكار الشخصيات وهمومها ودرجة وعيها من كل النواحي؛ بحيث أسهم الدال في تشكيل البناء الكلي للنص الروائي. وكان لصور التشبيه والاستعارة والكناية أثرها في التشخيص البلاغي للشخصيات وصفاتها ونقل مدلولاتها من الإطار المعجمي إلى الإطار المجازي الإيحائي.

المصادر والمراجع:

بحراوي، حسن، (1990م). *بنية الشكل الروائي "الفضاء، الزمان، الشخصية"*. ط1. المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء.

بروب، مورفولوجيا. (1989م). *الحكاية الخرافية*، ترجمة: أبو بكر باقادر، وأحمد نصر، النادي الأدبي الثقافي بجدة.

بنكراد، سعيد، (2003م). *سيميولوجيا الشخصيات الروائية*. ط1. رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة أنموذجًا، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الحازمي، حسن بن حجاب، (1427هـ). *البناء الفني في الرواية السعودية*، ط1. دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمّان.

الحمود، علي محمد. (1432هـ). *الاتجاه الإسلامي في الرواية في دول مجلس التعاون الخليجي*، ط1. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

الحميدان، إبراهيم الناصر،(1995م). *الغجرية والثعبان*،(د.ط) دار الهلال، الرياض.

العجمي، محمد الناصر، (1993م). *في الخطاب السردي (نظرية غريماس)*، (د.ط). الدار العربية للكتاب، تونس.

الفواز، الريم مفوز، (1437هـ- 2015م). *سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، 1410هـ-1430هـ؛ دراسة سيميائية*، ط1. النادي الأدبي الثقافي بجدة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

لحمداني، حميد، (2000م). *بنية النص السردي من منظور النقد العربي*، ط3. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار البيضاء.

ماضي، شكري، (1996م). *فنون النثر العربي الحديث*، ط1. منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (1973م). *المعجم الوسيط*، ط2. مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار إحياء التراث.

ابن منظور، محمد بن مكرم،(1414هـ). *لسان العرب*، ط3. دار صادر، بيروت.

النعيمي، فيصل غازي، (2009م). *العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبدالرحمن منيف*، ط1. دار مجدلاوي، عمّان.

المجلات:

نصيرة، زوزو، (2006م). سيميائية الشخصية في رواية حارس الظلال، *مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضرة بسكرة*، ع9.

-المناصرة، حسين، (2002م). ذاكرة المخيال الشعبي في رواية "الغجرية والثعبان"، *مقال بجريدة الجزيرة، العدد 10976*.